

# طبقة دُنيا جديدة في المملكة المتحدة

ديميلزا جونز

**إن ملتسمسي اللجوء في المملكة المتحدة هم من بين الفئات الأكثر تعرضاً لخطر الاستبعاد الاجتماعي وما زاد الطين بلة أن السياسات الحكومية المتعاقبة الخاصة باللجوء أدت إلى تفاقم حجم هذه المشكلة بدلاً من العمل على التخفيف من وطأتها.**

كنت أشعر وكأنني في سجن ... كل هذه الإجراءات ... وأخذ البصمات والصور... ويستشعر هذا التشابه بين الاحتجاز وبين حياة المجرمين العديد من ملتسمسي اللجوء المحتجزين ممن لا يمكنهم تفهم أي جريمة ارتكبوها يستحقون عليها هذا الاحتجاز.

وقد عانت (غريس) من نوع آخر من الممارسات الأكثر ارتباطاً بحياة المجرمين، حيث تم تثبيت بطاقة إلكترونية في كاحلها عند وصولها إلى المملكة المتحدة. ولم يفسر مسؤولو الهجرة لـ (غريس) السبب من وراء هذه المعاملة، وهكذا قضت أسابيعها الأولى في المملكة المتحدة وهي تتساءل عن الجريمة التي اقترفتها لتستحق بسببها هذا الأسلوب في المعاملة. وقد عبرت عن إحساسها بالمهانة والعار بسبب هذه البطاقة والتي كانت تظهر بوضوح وتثير كلاً من الفضول والعداء بين كل من ملتسمسي اللجوء الآخرين وأفراد المجتمع المستضيف. "لقد كانت الملابس الوحيدة التي جلبتها معي لارتدائها هي الجونلات لذا فقد كان بوسع الجميع رؤية هذه البطاقة في كاحلي... لقد كان الناس يحذقون فيها بفضول أثناء سبوري في الشارع. بل إن النساء الأخريات في المبنى كن يسألنني 'ما الجرم الذي ارتكبته لترتدي هذه البطاقة؟'

إن تجارب الإقصاء الاجتماعي التي أتت على وصفها كل من (باتريس) و (غريس) و (يولاندا) و (إيديم) و (سامي) ليست الوحيدة التي يمر بها ملتسمسو اللجوء. إن الإقصاء ينجم من النظرة السلبية لملتسمسي اللجوء باعتبارهم 'آخرين' يحملون تهديداً وعبئاً وهي النظرة التي يروج لها السياسة ووسائل الإعلام، وكنتييجة لسياسات اللجوء الحكومية التي تسبب محنة لهم والتي تحجم من إمكانية الاحتواء الاجتماعي نتيجة للفاقة المفروضة عليهم ومعاملتهم كالمجرمين والحرمان من الحق في العمل والحق في المساهمة في المجتمع المستضيف.

كانت ديميلزا جونز demelzajones@hotmail.com

com) - مؤلفة المقال - قد أكملت مؤخراً رسالتها لنيل درجة الماجستير في موضوع المواطنة والهويات وحقوق الإنسان العالمية بجامعة تونغهام في المملكة المتحدة، وكانت تعمل مع اللاجئين وملتسمسي اللجوء في عدد من المشروعات المجتمعية في وسط بريطانيا. وقم تم تغيير أسماء الأشخاص الذين تم التقاءهم وأسماء بلدانهم في هذا المقال.

www.cabinetoffice.gov.uk/upload/assets/www.cabinetoffice. ١ gov.uk/social\_exclusion\_task\_force/publications\_1997\_to\_2006/tackling.pdf  
٢ بيترز، جان، ٢٠٠٢ الفقر واللجوء في المملكة المتحدة. لندن: مجلس اللاجئين وأوكسفام، ص. ٤.  
٣ منظمة العفو الدولية، ٢٠٠٦ الخيبة والإقصاء في لندن: الطريق إلى البؤس والفاقة لملتسمسي اللجوء المنبوذين، ص. ١٥. www.amnesty.org.uk/content.asp?CategoryID=10682

البغاء وأن 'الفتيات كُن يُعطين مكاناً للمبيت فيه في مقابل تقديم بعض الخدمات الجنسية'، بينما أشار (إيديم) وهو شاب قليل الحيلة من سيراليون إلى أنه قد تم الزج به في علاقة استغلالية مع رجل أكبر منه سناً، حيث كان يشجع نزواته الجنسية لقاء المأكّل والملبس. ويعد الضعف وقلة الحيلة أمام التوظيف الاستغلالي غير الشرعي في القطاع غير الرسمي أحد القضايا المثيرة للقلق.

ومن بين العوامل التي تسهم في حدوث الإقصاء الاجتماعي بين ملتسمسي اللجوء هو الحرمان من الحق في العمل، وهذا يكون له تداعياته الخطيرة عليهم، سواء مادياً أو من حيث قدرتهم على المشاركة في المجتمع البريطاني. ذلك أن الحرمان من التواجد في أماكن العمل يجعل من الصعب على ملتسمسي اللجوء من البالغين التفاعل مع العامة، وبذلك يجعلهم معزولين اجتماعياً ولتتفاقم لديهم مشاعر التهميش والإقصاء، كذلك فإن الحرمان من العمل يترك الحاصلين منهم على وضعية اللاجئين في حالة عدم استعداد للمشاركة في المجتمع من خلال سوق التوظيف، مثلما هو الحال لـ (سامي) من كردستان، والذي يلقي باللائمة على غيابة لمدة عامين عن سوق العمل أثناء فترة التماسه للجوء: "في الوطن كنت أقوم بنفس الوظيفة لسنوات، بينما الحال هنا مختلف بسبب النماذج التي يتعين علي ملتها والمقابلات الطويلة. فإذا كان هذا أمراً حتمياً عند وصولي للبلا، فلا غبار على ذلك - ولكنني الآن أبدأ من الصفر". وتشاركه (يولاندا)، وهي أخصائية طبية مؤهلة تاهيلاً عالياً من الكاميرون، حيث تقول: "إن العجز عن المشاركة بمهاراتك لهو أمر محزن، وربما لو سُمح لنا بأن نظهر مهارتنا لما كرهنا الناس".

وإلى جانب هذه الأشكال المادية من الإقصاء، فإن صورة ملتسمسي اللجوء في وسائل الإعلام البريطانية تأتي في غاية السلبية، حيث تصف ملتسمسي اللجوء دوماً بأنهم 'مخادعين' و 'كاذبين' و 'مستجدين بالتملق'. وبعيداً عن تحدي هذه الصورة السلبية التي تروج لها وسائل الإعلام، أسهم السياسة البريطانيون المتعاقبون في تأجيج هذه الكراهية العامة لملتسمسي اللجوء وإضفاء الشرعية عليها.

وإلى جانب الترحيل، يتمثل أحد أشد أشكال الإقصاء من المجتمع في تقييد الحركة. فما يقرب من ١٤٪ من ملتسمسي اللجوء في بريطانيا يتم احتجازهم في مراكز الاعتقال الخاصة بالهجرة في مرحلة معينة من مراحل الالتماس. وهذه المراكز، والتي لا تعد رسمياً سجوناً، لا يمكن تمييزها عن السجون فعلياً على نحو ما يصف (سامي) قائلاً: "لقد

على مدار العقد الماضي، كانت الحكومة البريطانية قد حددت التعامل مع قضية الإقصاء الاجتماعي باعتبارها هدفاً رئيساً من أهدافها، وقامت لهذا الغرض بإنشاء وحدة لمكافحة الإقصاء الاجتماعي وأطلقت في عام ٢٠٠٣ خطة عمل وطنية (تهدف إلى الإدماج الاجتماعي). وكان التقرير الذي أصدرته الوحدة في عام ٢٠٠٤ قد اعتبر الأشخاص الملتسمسين للجوء في المملكة المتحدة من بين الأشخاص الأكثر عرضة لخطر الإقصاء الاجتماعي كما توصلت إحدى الدراسات المشتركة بين أوكسفام و مجلس اللاجئين في عام ٢٠٠٢ إلى أن "ملتسمسي اللجوء مرغمون على المعيشة عند مستوى من الفقر غير المقبول في أي مجتمع متحضر"، ذلك أن ملتسمسي اللجوء المأويين في إجراءات اللجوء يستحقون الحصول على إعانات أسبوعية والتي لا تؤمن إلا مستوى معيشة دون حد الفقر في المملكة المتحدة. والنتيجة هي الجوع والعجز عن شراء الملابس أو الأحذية ودفع رسوم الطبيب أو القيام بالاتصالات الهاتفية للبقاء على اتصال مع الأصدقاء والمحامين.

وفي عام ٢٠٠٦، قمت بمقابلة أربعة من ملتسمسي اللجوء وأحد الأشخاص الذين تم منحهم حق اللجوء. وكانت (غريس) من زيمبابوي قلقة بسبب دفع مصاريف الانتقالات، وكان موعد جلساتها الإجبارية مع إدارة الهجرة يتطلب منها الانتقال في وسائل المواصلات العامة في أوقات الذروة، وهو ما كان يكلفها ٥ جنيهات أسبوعياً، وهي تقول: "إن خمسة جنيهات ليست بالمبلغ الكبير، ولكنه يصبح كبيراً عندما لا يكون لديك إلا القليل فقط من المال". ومن أجل الحصول على المال اللازم للانتقال، اضطر (باتريس) من ساحل العاج لبيع السندات المالية الخاصة به والتي تعد كل مستحقاته، وذلك أحياناً للجزان عديمي الضمير بأقل من قيمتها الحقيقية: "أحياناً ما يصيبني الاكتئاب جراء هذا الوضع - ولكنني إذا لم أحضر إلى مكتب الهجرة، سأعتبر مخالفاً للقانون".

وينتهي الحال عادة بمن يسقط في شباك قوانين اللجوء بأن يكون معدماً وقليل الحيلة، حيث يعاني من صعوبة النوم أو من البقاء بشكل غير شرعي مع ملتسمسي اللجوء الآخرين في مساكن مكدسة غالباً ويعتمدون في معيشتهم على المساعدات المقدمة من الأصدقاء أو الجمعيات الخيرية. وقد يؤدي مستوى الإقصاء الاجتماعي الذي تسببه الفاقة إلى التعرض للاستغلال الخطير. وقد وجدت إحدى التقارير التي أصدرتها منظمة العفو الدولية في عام ٢٠٠٦ أن بعض من تم التقاءهم قد تحولوا إلى ممارسة